

جماليات التلقي في الخطاب النسوي

(خطبة السيدة زينب نموذجاً)

م.م. مرتضى رزاق هبل

كلية التربية المفتوحة

**The aesthetics of receiving in women's sermons "The sermon of
Sayyida Zainab, peace be upon him" as a model**

Teacher.Assistant.Mortaza Razak Hubal

Open Education College

murtad.razaq@mu.edu.iq

Abstract

The study is based on a statement of the Arab feminist discourse, its levels, mechanisms and functions in the text. In order to be fair to women in their feminist discourse, this research was to set a point of order for feminist thought, and to show the role played by Mrs. Zainab, peace be upon him, in the Islamic nation. Because it is an extension of the sermons of her father, Sayyid al-Wajehin and her mother, al-Zahra, taking the sermons of women in the Umayyad era as a living model for rhetoric in it. Because some women claim that our Arab society is a patriarchal society, so the poet, preacher and scholar is Adam, and that Eve has been excluded, although the reality of the nation's history indicates otherwise. In choosing who to propose to her and the Prophet supported her (and legislated her saying to the whole nation, and a third she learned from the Prophet) then the nation learned after him.

key words: Feminist discourse, rhetoric, initiation, intertextuality, mockery.

الملخص:

تقوم الدراسة على بيان الخطاب النسوي العربي ومستوياته وآلياته واشتغالاته في النص، ومن أجل إنصاف المرأة في خطابها النسوي كان هذا البحث ليضع نقطة نظام للفكر النسوي، ويبين الدور الذي أدته السيدة زينب ع في الأمة الإسلامية؛ لأنها امتداد لخطبة والدها سيد الوجيهين وأمها الزهراء، متخذين من خطب النساء في العصر الأموي نموذجاً حياً للخطابة فيه، وكانت خطب السيدة الجليلة زينب ابنة الإمام علي ع أحد نماذج العصر المهمة والتي شكلت قاعدة لمن جاء بعدها، حتى عدت نصوصاً مؤثرة في الرجال والنساء؛ لأن بعض النساء يدعين أن مجتمعنا العربي مجتمعاً ذكورياً، فالشاعر والخطيب والعالم هو آدم، وأن حواء قد أقصيت، مع أن واقع تاريخ الأمة يدل على خلاف ذلك، فإننا نجد أن المرأة جادلت رسول الله ﷺ وسجل القرآن مجادلتها له، وامرأة أخرى عبرت عن حرية رأيها في اختيار من يخطبها وأيدها النبي ﷺ وأقرها مشرعاً قولها للأمة كلها، وثالثة تعلمت من النبي ﷺ ثم علمت الأمة من بعده.

الكلمات المفتاحية: الخطاب النسوي، الخطابة، الاستهلال، التناسل، الاستهزاء

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فإن من أكمل أجيال الأمة الرعيل الأول من سلف الأمة الصالح من الصحابة ثم التابعين، وقد وقع بينهم من الخلاف ما أشارت إليه كتب التاريخ والسير.

وإن من البيان لحكمة؛ لأنه يعبر عن الرأي ويبين من المرء عقله واتزانه وتقديره للمواقف، ومما لاشك فيه أن أي خطاب بشري تقف وراءه مجموعة من الدوافع منها؛ مثل: وقوع الخطيب في موقف معين، دفعه للحديث، أو وقوع حدث أثر في نفسية الخطيب مما دفعه إلى خطاب يعبر فيه عما يعتل في صدره، ويورد التعبيرات الدالة على معاني تجول في خاطره، وبناء عليه فإن الخطاب النسوي من الأولى ألا يكون مفتعلاً، وهو ما نراه في خطاب السيدة زينب حيث صدر منها بتأثير ما رأت من فعل يزيد وقوله معا فتأثرت حتى شرعت بمخاطبته، زلزلت عرش يزيد بن معاوية، وقد تضمن خطابها مستويات بلاغية ودلالية كثيرة اقحمت فيها الحاضرين فهناك التقرير واللوم والعتب وبجانبها النصح والارشاد من ناحية أخرى وخطبت خطبتها العصماء التي طوحت بالقاتل أرضاً، فكانت سياسة اجتماعية دينية وكانت فيها النصوص القرآنية وأحاديث نبوية شريفة مختارة أبلغ العبارات وأدقها؛ إذ حملت بين طياتها تفاصيل ذلك اليوم العصيب الذي قتل فيه الإمام الحسين، وصورت ما كان في ذلك الحدث الجلل، وعبرت عما في مكنونها من حزن وأسى تتصدع لها الجبال، بعبارات موجزة رصينة جديرة بالتأمل والدرس، وتتطلب الدراسة أن يبين الباحث منهجه في البحث، والكيفية التي قسم فيها، فكانت المقدمة الأولى التي يمكن عن طريقها بيان الخطاب النسوي في العصر الأموي ومن ثم التمهيد الذي كان لنا فيه قراءة لمفهوم الخطاب، ومن ثم إلى مباحث، فقسم البحث إلى مبحثين تناولت في المبحث الأول "خطبة النساء ودلالة التفرد للسيدة زينب ع"، ثم تناولت في المبحث الثاني "أساليب الخطاب النسوي ودلالات سمات شخصية السيدة زينب ع، وأخيراً كانت لنا خاتمة توصلنا فيها إلى جملة من النتائج مع قائمة خاصة بالمصادر والمراجع الذي كان القرآن الكريم منعها الأول كون السيدة زينب ع ربيبة القرآن نفسه.

التمهيد: الخطابة قراءة في المفهوم

الخطاب النسوي لغةً: مصطلح مركب مكون من مضاف ومضاف إليه فأما (الخطاب) فهو مصدر خاطبته مخاطبة وخطاباً^(١)، وفي مقاييس اللغة: خطب: الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يُخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك^(٢)، وعرف بعضهم الخطاب بأنه: (مراجعة الكلام)^(٣)، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] حيث فسر فصل الخطاب هو قول الناثر الخطيب (أما بعد)؛ فإن استعملته اتباعاً

١- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ١، سنة: ١٩٨٧م، ١/ ٢٩١.

٢- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٩٧٩م، ٢/ ١٩٨.

٣- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، العين، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (دون، ط، ت)، ٤/ ٢٢٢.

للأسلاف، ورغبة فيما جاء فيه من التأويل فهو حسن؛ وإن تركته توخياً لمطابقة أهل عصرك، وكراهة للخروج عما أصلوه لم يكن ضائراً^(١).

تعدّ الخطاب بنية دلالية بها يُختزل موضوع الخطاب ويصنف الإخبار الدلالي للمتتاليات ككل^٢، ولكل خطاب بنية كليّة ترتبط بها مكوناته والقارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة. وأما النسوي فهو نسبة إلى كلمة (النِسْوَة)، والنسوة: جماعة النساء والإناث، وهن شقائق الرجال. والمقصود بـ(الخطاب النسوي) كل كلام من النثر أو الشعر، وعليه فنذب الخنساء - أباها صخرًا من الخطاب النسوي وقد قالته شعراً، كما يعد خطاب السيدة زينب بنت علي من الخطاب لنسوي وهو من منشور القول.

الخطاب النسوي اصطلاحاً:

الخطاب اصطلاحاً هو: "توجيه الكلام إلى حاضر"^(٣)، وهو في مقابل الغيبة والتكلم والنسوية اصطلاحاً: كل ما ينسب إلى جماعة النساء مما يصدر عنهن من قول أو فعل أو سلوك، أو يصدر لهن. نقول: عظة نسوية، ونقد نسوي، وشعر نسوي، وخطابة نسوية.

وبناء عليه يمكن أن يبين الباحث أن (الخطاب النسوي) : كل كلام صادر من إحدى النساء لتخاطب به وتوجهه لأحد من الناس في موطن من مواطن القول المختلفة.

فالمقصود بـ(الخطاب النسوي): كل كلام من النثر أو الشعر خاطبت به إحدى النساء أحدًا. وعليه فنذب الخنساء - أباها صخرًا من الخطاب النسوي، وقد قالته شعراً، كما أن جدال المرأة رسول الله من الخطاب النسوي، ولقد سجله القرآن في صدر سورة المجادلة، كما يعد خطاب السيدة زينب بنت علي من الخطاب لنسوي وهو من منشور القول.

فقد كانت السيدة زينب ع- مع أخيها الحسين بن علي، وهو سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة لما قتل، فحملت إلى دمشق، وحضرت عند يزيد بن معاوية، وكلامها ليزيد بن معاوية حين طلب الشامي أختها فاطمة مشهور يدل على عقل وقوة جنان^(٤)؛ أي: كانت مع أخيها لما قتله يزيد بن معاوية، وخاطبت يزيد خطبة فيها من القوة والشجاعة والاتزان مع رهبة الموقف وشدة المقام، وإن ما فعلته الخطبة الزينية في مجلس اليزيد وإدارتها للمجلس بكل شجاعة وتحكمها في مشاعر المتلقين بفعل كلماتها المكسوة بالحزم والبسالة لا يقل أهمية عن الشهادة والتضحية في ساحات الحرب كمال تعتبر دلالة واضحة على إيمانها بقضاء الله وقدره .

١- أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، سنة: ١٤١٩هـ. (ص: ١٥٩) .
٢- ينظر : فان ديك نقلا عن لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص٤٢ .

(٣) إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندائي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون، (١/ ٢٩٣) وابن عبد الحق العُمري الطرابلسي (ت ١٠٢٤هـ)، درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة، تحقيق: د. سليمان حُسين العُميرات، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، ط/ ١، سنة: ٢٠١٨م، (ص: ١٩٣).

(٤) أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني أبو الفضل (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، سنة: ١٤١٥هـ، ١٦٦/٨ - ١٦٧.

المبحث الأول

خطبة النساء ودلالة التفرد للسيدة زينب ع تأثر والتأثير

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: نص خطبة السيدة زينب ع:

أورد ابن طيفور^(١)، خطبة السيدة زينب في بلاغات النساء، فقال: (لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - الَّذِي كَانَ، وَانصَرَفَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ - لَعْنَهُ اللَّهُ - بِالنِّسْوَةِ وَالْبَقِيَّةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ وَوَجَّهَهُنَّ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ - لَعْنَهُ اللَّهُ - فَوَجَّهَهُنَّ هَذَا إِلَى يَزِيدٍ - لَعْنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ - فَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ أَمَرَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَبْرَزَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُثُ ثَنَابَاهُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

يا غرابِ البينِ أسمعَتْ فقلْ * إنما تذكرُ شيئاً قد فَعَلْتِ
ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزعَ الخرجِ منْ وقعِ الأسيلِ
حينَ حكَّتْ بقباهِ بركها * واستحَرَ القتلُ في عبدِ الأشلِ
لأهلوا واستهلوا فرحاً * ثم قالوا: يا يزيدُ أن لا تشلِ
فجزيناهم ببدرٍ مثلهما * وأقمنا ميل بدر فاعتدل
لسْتُ للشيخينِ إن لم أثمر * من بني أحمدَ ما كانَ فعَل

فقالَت زينب بنت علي -عليهما السلام-: صدق الله ورسوله يا يزيد، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا الشَّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ{[الروم: ١٠]} أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ أَنَّهُ حِينَ أَخَذَ عَلَيْنَا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ، وَأَكْنَفَ السَّمَاءَ فَأَصْبَحْنَا نُسَاقُ كَمَا يُسَاقُ الْأَسَارَى إِنْ بَنَى هَوَانًا عَلَى اللَّهِ، وَبِكَ عَلَيْهِ كِرَامَةٌ، وَإِنْ هَذَا لِعَظِيمِ خَطَرِكَ فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ فِي عَظْفِكَ جَذْلَانَ فَرِحًا حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُسْتَوْسِقَةً لَكَ، وَالْأُمُورَ مُتَسِقَةً عَلَيْكَ، وَقَدْ أَمَهَلْتَ وَنَفَسْتَ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَمِّئُ لَهُمْ حَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُطَمِّئُ لَهُمْ لِيُرْزَأُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}{[آل عمران: ١٧٨]}، أَمَّنَ الْعَدْلُ يَا ابْنَ الطَّلَاقِ تَحْدِيرِكَ نَسَاؤُكَ، وَإِمَاؤُكَ، وَسَوْقِكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ هَتَكَ سَتُورَهُنَّ وَأَصْلَحَتْ صَوْتَهُنَّ مَكْتَنِبَاتٍ تَخْدَى بِهِنَ الْأَبَاعِرَ، وَيَحْدُو بِهِنَ الْأَعَادِي مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَرِاقِبْنَ وَلَا يُؤْوِينَ يَتَشَوَّفُهُنَّ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ لَيْسَ مَعَهُنَّ وَلِيٌّ مِنْ رِجَالِهِنَّ، وَكَيْفَ يَسْتَبْطَأُ فِي بَغْضَتِنَا مِنْ نَظَرِ إِلَيْنَا بِالشَّنِقِ وَالشَّنَانِ وَالْأَحْنِ وَالْأَضْغَانِ؟ أَتَقُولُ: "لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهَدُوا" غَيْرَ مَتَأْتُمْ وَلَا مُسْتَعْظَمٌ؟!، وَأَنْتَ تَتَكَبَّرُ ثَنَابًا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِمَخْصَرَتِكَ، وَلِمَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ، وَقَدْ نَكَأَتِ الْقَرْحَةَ، وَاسْتَأْصَلْتَ الشَّافَةَ بِأَهْرَاقِكَ دِمَاءَ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ وَنَجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَلْتَرِدْنَ عَلَى اللَّهِ وَشَيْكًا مُورِدَهُمْ، وَلْتَوَدْنَ أَنَّكَ عَمِيَّتْ، وَبَكِمْتَ وَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ: "فَاسْتَهْلُوا وَأَهْلُوا فَرِحًا".

اللهم خذ بحقنا، وانتقم لنا ممن ظلمنا، والله ما فریت إلا في جلدك، ولا حززت إلا في لحمك، وسترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لي الله عليه برغمك وعترته ولحمته في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث، وهو قول الله تبارك وتعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}{[آل عمران: ١٦٩]}، وسيعلم من بؤك ومكّنك من رقاب المؤمنين إذا كان الحكم لله، والخصم محمد صلى الله عليه،

١-خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م ١ / ١٤١، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت ١ / ٢٥٦.

وجوارحك شاهدة عليك، فبئس لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، أَيُّكُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا، مع أني والله يا عدو الله وابن عدوه، استصغر قدرك، واستعظم تقريعك.

غير أن العيون عَبْرَى، والصدور حَزَى، وما يَجْزِي ذلكُ أو يُغْنِي عَنَّا، وقد قتل الحسين -عليه السلام-، وحزب الشيطان يقربنا إلى حزب السفهاء؛ ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله، فهذه الأيدي تتطّف من دماننا، وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات فلئن اتخذتنا مغنمًا لتتخذن مغرمًا حين لا تجد إلا ما قدمت يداك تستصرخ يا ابن مرجانة، ويستصرخ بك، وتتعاوى، وأتباعك عند الميزان، وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية قتلك ذرية محمد صلى الله عليه.

فوالله ما اتقيت غير الله، ولا شكواي إلا إلى الله فكذلك واسع سعيتك، وناصب جهدك، فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبدًا.

والحمد لله الذي ختم بالسعادة، والمغفرة لسادات شتبان الجنان، فأوجب لهم الجنة، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات، وأن يوجب لهم المزيد من فضله، فإنه ولي قدير^(١).

المطلب الثاني

سياق خطبة السيدة زينب ع

في سنة (٦١هـ) كان مقتل الحسين بن الإمام علي ومن معه من أصحاب وأهل البيت، وفيها فعل يزيد من التمثيل برأس الإمام الحسين أمام أهل بيته، مما أثار شجبتهم وحزبهم؛ إذ أكلهم المشهد، وأروعهم المنظر، فثارت ثائرة عقيلة بني هاشم السيدة زينب ابنة الإمام علي، وأختا للإمام الحسين ع، حتى قامت تقول مخاطبة يزيد بن معاوية، في خطابها النسوي حيث نكّرت فيها فأبلغت، ودمّت فأقذحت، وبلغت وعد الله المتقين، مشيرة لعاقبة أهل الشهادة واليقين، وندّدت بأفعال اللئام، وشجبت كل شائن شائئ لأهل البيت الكرام، مذكرة بقول الله تعالى تارة، ومنذرة بأحوال العداة في لقاء رسول الله في منازل الآخرة^(٢).

ويمكننا أن نضع الخطبة في إطار بنية المناظرة وذلك كونها خطبة أظهرت الصواب وأوصلت إلى الحق وحصلت الفائدة.

فالسيدة زينب ع أقامت الدليل وأفحمت الزيد وذلك بأدلتها وحججها التي حولتها إلى سيدة الموقف رغم سببها. مثّلت بنية الخطاب افتتاحية صادمة بأمرين هما : ذكرها للعلاقة النسبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعريف القوم بهم ورفع غشاوة التجهيل عن أعينهم وهو يعتبر ضدية قولية لتوصيفهم بالخوارج ، واستفتاح الخطاب بشاهد قرآني صادم بمضمونه الذي حوى بين طياته طاقة مشحونة باستدراج الخصم إلى المعركة والسجال حيث يسلب فيها كل ادعاء منه واثبات تكذيبه بآيات الله.

(١) أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور أبو الفضل (ت ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، تصحيح وشرح: أحمد الألفي، الناشر: مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، سنة: ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، ص: ٢٦ - ٢٧، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، (دون: ط، ت)، ص: ١٣٦ - ١٣٩.

(٢) أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تح: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة دمشق بيروت، ط/ ٢، سنة: ١٣٩٧هـ ص ٢٣٤، وينظر: ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الناشر: دار التراث بيروت، ط/ ٢، سنة: ١٣٨٧هـ / ٥ / ٤٠٠.

المطلب الثالث

بيان مفردات خطبة السيدة زينب ع

تعج خطبة السيدة زينب ع بالمفردات البلاغية التي تحتاج الى بيان توضيح عن طريق الوقوف على دلالتها ومعانيها ومنها:

قول ابن طيفور: (فأبرز في طست) الطست بسين مهملة، وهو فارسي كما نقله الجواليقي عن أبي عبيد، وهو: إناء نحاسي مستدير، وطست، لغة طيء، وغيرهم يقول: طَسَّ^(١).

قولها: (وأصحلت صوتهن) الصلح بوح في الصوت، قال الأعشى: صَحِلِ الصَّوْتِ أَبْحَ^(٢)، ومرادها كثرة الندب، وشدة العويل والبكاء الذي أدى لصلح صوت النساء منهن.

قولها: (تخدو بهن الأباعر، ويحدو بهن الأعادي) وضع إبل لجماعة الأباعر، جمع بعير، كما وضع "قوم" لجماعة الرجال، والأعادي، تعني: العداة بالهاء، وهي جمع عادٍ لا جمع عدو^(٣).

قولها: (من نظر إلينا بالشنق والشنان والأحن والأضغان)، أوصاف أربعة لكارهي آل البيت؛ أما الشنق: فطول الرأس كأنما يُمدُّ سُدَّاء. والأحن: حنات جمع حنة وهي لغة رديئة، يقال في صدره عليك أحنة وتجمع على الأحن، والشنان البغضاء معروف، والأضغان جمع ضغينة، أي: غضب حاق في قلب رجل تجاه آخر.

قولها: (وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشافة) القرحة اسم مرة، وهي الجرح، الشافة: قرح يخرج بالقدم يقال منه: شفت رجله شافاً، والاسم الشافة، وهو سريع الذهاب والبرء^(٤).

قولها: (والله ما فريت إلا في جلدك، ولا حزرت إلا في لحمك) الفرى: القطع أو اختلاق الكذب، قال الجوهري: "وفلان يفري الفري، إذا كان يأتي بالعجب في عمله"^(٥). والمراد به القطع والحز بالسيف المحدد؛ ولأن المقام مقام ضرب بالسيف والقتل.

قولها: (الأيدي تنطف من دمائها، وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا) تنطف أي يسيل الدم من الأيدي والنطفة "ندوة وبلل، ثم يستعار ويتوسع فيه"^(٦). الحلب إخراج الشيء مسرباً والمقصود أن أيدي الأعادي وأفواههم تشاركنا في النيل من دمائنا قتلاً، ولحومنا عتاً وقضماً.

قولها: (وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات) (الجثث) جمع جثة أي أجساد شهداء آل البيت، و(الزواكي) جمع زاك: رائحتها طيبة، ويعتامها: أي يأتيها وقت العتمة وهي العشاء، و(العسلان) الذئب، والفلوات جمع فلاة هي الصحراء، والمقصود أن: الأجسام الطاهرة تسرع إليها ذئاب الصحراء فتعلوها ليلاً.

١- أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ابن الملقن (ت: ٨٠٤ هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، ط/ ١، سنة: ٢٠٠٨م، ٥/ ٢٢٩.

٢- ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣/ ٣٣٤.

٣- محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي أبو سهل (ت ٤٣٣ هـ)، إسفار الفصيح، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/ ١، سنة: ١٤٢٠ هـ، ٢/ ٨٥٤.

٤- ابن فارس، مقاييس اللغة ٣/ ٢٣٨، عبد الله بن مسلم بن قنينة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، الجرائم، تح: محمد جاسم الحميدي، تقديم: د. مسعود بوبو، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق ١/ ٢٣٩.

٥- الجوهري، الصحاح تاج اللغة، ٦/ ٢٤٥٤.

٦- ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/ ٤٤٠.

قولها: (فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت) يرحض من: "رَحَضَهُ يَرْحُضُهُ، كَمَنْعَهُ، رَحَضًا: غَسَلَهُ، كَأَرْحَضَهُ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: لُغَةٌ حِجَازِيَّةٌ"^(١). والمراد أن ما جنيت يا يزيد فعل يثبت عاره فلا يحى بغسل عنك مهما أتيت من توبة أو تندم، وكأنها تشير لقوله: {وَمَنْ يَثْقُلْ مُمْمِنًا مَّتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ..} الآية [النساء: ٩٣].

المبحث الثاني

أساليب الخطاب النسوي ودلالات سمات شخصية السيدة زينب ع والدلالات البلاغية في الخطبة.

وفيه المطالب الآتية

المطلب الأول: أساليب خطبة السيدة زينب ع.

كان سياق خطبة السيدة زينب رد فعل لما فعل يزيد، من قتل وتمثيل بجسد الحسين ابن الزهراء فاطمة سبط رسول الله.

- استهلال خطابها:

ويعد من أهم أركان بناء النص؛ لأنه المدخل إليه حيث استهلّت السيدة زينب ع خطبتها بقولها: (صدق الله ورسوله) دون الحمدلة مكنتية بالثناء على الله بتصديقه وتصديق رسوله، إما قصدًا لأنها في كرب وحزن، يلزمه الثبات بذكر الله مع الصبر والجلد والتحمل بذلك أو لذهولها عنه لهول الموقف، فهي (خطبة بتراء) وسميت بتراء؛ لأنه لم يحمد الله في أولها، وتجدر الإشارة أن السيدة زينب قد أتت بالحمد لله في ختام خطابها بعدما شفت من عدوها قدحا، واشتقت منه ذما بما يليق به في شجاعة نادرة، مع بلاغة وافرة.

- خطابها ليزيد بين الاستهزاء والتندر:

خاطبت يزيد بقولها: (أظننت يا يزيد.. إن بنا هوانا على الله) لا تظن -والظن خلاف اليقين-، أي: لا تظن شاكًا في أنه من أجل ما فعلت بنا يداك من قتل رجالنا وأسر نساءنا، أن بنا هوان على الله فليست حقيقة الأمر أن بنا هوان على الله، وإما ابتلاء المؤمن في نفسه وأهله، وإنما هي سنة الله في أهل الإيمان لرفع درجة كل صابر محتسب راضٍ بقضاء الله فيه.

إن الافتتاح ببنية الاستفهام هذه يقود إلى فهم المتلقي أنّ هذا الاستفهام لا يراد به الاستعلاء بل إن المخاطب يعلم مسبقًا من يناظر ، وبذلك نعهه استفهامًا تقريرياً كانت غاية السيدة زينب منه ما يلي :

بنية الاستفهام التقريري تجلت حذاقة السيدة زينب الخطابية والذي بدوره شكّل بنية الافتتاح حيث هيأت أذهان المخاطبين و المخاطب واستدراجه ليكون وسيلة لافحام الخصم واحراجة واثبات ظلمه أمام من يوالونه فتكون الغلبة لها .

ونجد أيضا أن هذا الاستفهام التقريري له مقصدية أخرى هي فضاء إثارة الخلاف وجعل حدود بين متلازمات الشخصين (المخاطب والخصم) فمن خلاله أثبتت أنها في موقف معارض تماما لموقف خصمها ولتؤكد هذه القناعة في أذهان الحضور وتستصغر اليزيد أمامهم.

كما مثلت بنية الاستفهام التقريري عرضا لمظلومية آل البيت من خلال شحن أجواء الحضور في مجلس اليزيد وتهييج المبارزة الكلامية فهي كانت على وعي تام أنّ خصمها لا يجارها في أسلوبها وبراعتها.

٤- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٨ / ٣٤١.

كما خاطبته مستهزئة فقالت: (أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك نساؤك، وإماؤك، وسؤك بنات رسول الله قد هتكت ستورهن وأصلحت صوتهن مكتنبات) فاستفهام (أمن العدل؟) للتقرير على حقيقة ما فعل، أو استنكار على شنيع فعالة، وقوله (يا ابن الطلقاء) نداء تحقير ودحر وذجر؛ لأنها تقصد من أطلقهم رسول الله يوم الفتح فقال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"^(١)، وفيه مقابلة بين تخدير نساءه وإماءه بينما هتك ستر بنات النبي وبحث أصواتهن عويلا، وأصابتهن الكآبة.

إن الاستفهام الانكاري هنا هو وسيلة للمناظر (السيدة زينب) في إثارة الشك بما يعتقدده الخصم (اليزيد) فيضعه في مقام الاستبعاد والاستحالة فتكون مقصديته إرباك الخصم وإثارته فيضعه في موقف المدافع الذي فقد أسلحته، فضلا عن هذا فقد اشتغلت بنية الاستفهام الاستنكاري بالتشهير بانتهاكات الخصم حتى يدب الارتياح فيه ويفتضح صنيعه الشنيع فكان بحق آلة اقناعية ومحركا للسجال ومركزا للاستدلال ومؤثرا في توليد الدلالة .

كما خاطبته متندرة بقوله الشعر فقالت: (أتقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا" غير متأثم ولا مستعظم؟!)"^(٢)، استفهام تندر واستهزاء بيزيد على ما أنشد من شعر افتتح به مقامه يفخر ويكابر (غير متأثم ولا مستعظم)، ومثل ذلك قولها: (ولتودن أنك عميت، وبكمت وأنك لم تقل: "فاستهلوا وأهلوا فرحاً") استفهام تندر. واستهزاء بقوله يزيد. كما خاطبته بقده ودم فقالت: (مع أني والله يا عدو الله وابن عدوه، استصغر قدرك، واستعظم تقريعك). نداؤها ليزيد بوصف (عدو الله) وصف له بالعداوة، وهو قريب من وصف القرآن لأولياء الشيطان بقوله: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [الكهف: ٥٠].

خطابها مستشهدة بالقرآن:

الاستدلال بالقرآن نصا في مواضع واستئناسا وتناصا في أخرى.

أما استدلالها بالنص ففي قوله: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} [الروم: ١٠]، كما استشهدت بنص قوله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا تُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [آل عمران: ١٧٨]، أمن العدل يا ابن الطلقاء... كما استشهدت بنص قوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩]، فذلك آيات من كتاب الله تعالى المنزلة على قلب رسوله استدلت بها لضبط الشاهد.

ومنه استئناسها من كتاب الله تعالى لتستشهد به وتستقوي حجتها، إذ قالت: (وسيعلم من بؤك ومكّنك من رقاب المؤمنين إذا كان الحكم الله، والخصم محمد صلى الله عليه، وجوارحك شاهدة عليك، فبئس لظالمين بدلاً) استئناس بأسلوب القرآن {بئس لظالمين بدلاً} [الكهف: ٥٠]، أما استئناسها وعرف أهل البلاغة الاستئناس بأنه: (هو الإشعار بالمطلوب من غير صراحة في الدلالة)، والاستئناس نوع من البديع يجمل الخطاب، ويزين أسلوب الخطيب.

١- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٦١، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، الثبتي (ت ٣٥٤هـ)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تصحيح وتعليق: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الناشر: الكتب الثقافية، بيروت، ط/ ٣، سنة: ١٤١٧هـ، ١/ ٣٣٧.

الاقتباس

متسقة : أي منتظمة وقد اقتبست اللفظة من قوله تعالى: " والقمر إذا اتسق " أي أنك يا يزيد ترى أمورك منتظمة على ما تحب وترضى.

سوقك: وهي تصف حالها ومن معها كيف ساقهم اليزيد أسرى سبايا وهو من قوله تعالى: " يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهو ينظرون"

هوان : هو الخزي اقتبست من قوله تعالى : " فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون " الطلقاء: هم الذين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "اذهبوا فأنتم الطلقاء" وهو الذين أسلموا خوفا فقط وقيل هم الذين أعلنوا إسلامهم يوم فتح مكة وهم يبطنون الكفر ولولا أن اللفظة تدل علة الانتقاص والاحتقار ما نعتته بها.

شنان: وهو البغض يقال شنأت الرجل أي أبغضته والسيدة زينب تعمدت استعمال اللفظة دون غيرها وكأنها أرادت أن تذكر اليزيد بقوله تعالى: " ولا يجرمكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا " أي أنك مخالف مكذب للقرآن خارج عن دين الله .

الأضغان : مرض البغض وهو من قوله تعالى: " إن يسألوكموها فيحلفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم " في إشارة منها أن ملكك يا يزيد زائل ومتاع الدنيا راحل ولا يبقى لك إلا ما جنته أفعالك المخزية .

والتناص' وهو قريب من النص المحفوظ حيث يغير فيه المتكلم لذا فقد عده بعض النقاد من باب السرقات الشعرية، لكن إن كان التناص من كتاب الله أو سنة رسوله فيجمل الكلام، ويقويه ومنه قول السيدة زينب: (أَيْكُمْ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) ففيه تناص بأسلوب القرآن في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيُحَدِّدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا){[مریم: ٧٥]، حيث أنت به في سياق قولها: (سيعلم من بؤأك..) الذي يحمل تخويفًا وترهيبًا شديدًا في أسلوب أداء قوي بلحاق يبين أن يزيد القاتل سيلقى الله فيجده حكماً، وسيلقى محمداً النبي الخاتم جد المقتول فيجده خصماً له لموقع أهل بيته منه، كما سيجد يزيد جوارح شاهدة عليه فيما جنى وافترى واعتدى .

استشهاد السيدة زينب بالنص القرآني دليل على سريان القرآن في دهما وامتزاجه بروحها فهي على علم بأدق ألفاظه وتراكيبه وعلى علم بقصده ودلالته ، ومن خلال هذا الفقه القرآني استطاعت وبراعة توظيف الصياغات القرآنية بما يخدم خطبتها فكان أسلوبها القرآني يجري على لسانها جريان الماء المتدفق وهذا ما أعطى قوة وفاعلية لنص الخطبة .

تعتبر سلطة الشاهد القرآني في الخطاب الزينبي بنية نصية ضاغطة أذهلت الأسماع وأرعبت الخصم(اليزيد) فقد توزعت وظيفته على طبقتين:
أولها : بوصفها آلية إقناعية للحضور .

ثانيها : بوصفها آلة إفحام للخصم وتكشف عن خداعه لقومه بما نسبه لآل البيت من أنهم خوارج ثم تقبيح لفعله المشين بالقتل والسبي .

قولها: (العيون عذرى، والصدور حرى، وما يجزى ذلك، أو يُعني عنا، وقد قتل الحسين -عليه السلام-، وحزب الشيطان يقربنا إلى حزب السفهاء؛ ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله، فهذه الأيدي تتطف من دماننا، وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات فلئن اتخذتنا مغنماً لتتخذن مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يدك تستصرخ يا ابن مرجانة).

وهذه الفقرة تحمل ما يلي:

أولاً: الإشارة في قولها (وما يَجْزِي ذلك) تعود إلى عبرات العيون وحر الصدور.
ثانياً: بين قولها (لتردن...) و(ولتودن...) طباق. وبين قولها (مغنماً..) و(مغرماً...) طباق وأيضاً جنان باستبدال الواو بالراء.
ثالثاً: تعديد شنائع يزيد فمنها: قتل الحسين، وتقريب آل البيت من حزب السفهاء. وإعطاء أموال الله على انتهاك محارم الله، وأيدي العادي تريق دماء آل بيت النبوة. وأفواههم تقطع من لحوم أهل بيت النبوة.
رابعاً: نم يزيد بمناداته ب(ابن مرجانة) وهي أمه على خلاف عادة العرب من التعاضم بذكر أنسابهم بذكر الآباء والأجداد، كما شبهت يزيد وأتباعه بالكلاب العاوية.

المطلب الثاني

دلالات الخطبة على شخصية السيدة زينب ع

من أظهر دلالات خطاب السيدة زينب الأمور التالية، وهي:

أولاً : القوة الخطابية : ألفاظ الخطبة وتراكيبها الرصينة ما هي إلا نتاج شخصية صلبة فيها من الثبات ما يورع على أمة ، لم تفقدها عاطفتها وفجعتها التحكم في زمام لغتها فقالت وأجادت وأسمنت فأصابت .
ثانياً: في الخطبة دلالة على الآخرة والتذكير بها: ففيها تذكير بموارد ومقامات في الآخرة من الورود على رسول الله في حوضه وكوثره ولواء حمده لنيل جليل شفاعته.. وكذلك تذكير بالميزان في الآخرة.
ثالثاً: في الخطبة الاستهزاء بيزيد بن معاوية، وفيها: بيان لحال آل البيت على يد يزيد من حل الحرمة، وطمع القريب والبعيد فيهم.
رابعاً: الخطبة دعاء على الظالم يزيد أن يبلغ به ما فعل بالحسين وآل البيت.. وكذلك دعاء وطلب غوث واستغاثة من الله عزوجل.
خامساً: قولها: (وسترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لى الله عليه برغمك) وقولها: (فكذ كذك واسع سَعْيِكَ) تخويف وترهيب من سوء عاقبة فعلته الشنيعة كقوله تعالى: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} [فصلت: ٤٠].
سادساً: تحمل الخطبة براعة استهلال بقوله (صدق الله ورسوله) مع حسن انتقال من مقام وحال إلى مقام وحال آخر في حسن التخلص عند الانتقال لجمعه في سياق عام واحد، تعبيراً عن الحال والواقع. كما ظهر (حسن الانتقال) في تمهيدها لختام خطابها ببيان مقام التعبير عن الواقع بعدما كان ما كان من بيان حال آل البيت، وبيان حال أعداءهم. مع القسم (بالله).
سابعاً: حملت الخطبة أيضاً حسن ختام فبعد براعة استهلالها ها هي تحسن ختامها بحمد الله وشكره والثناء عليه ثم الدعاء بما يناسب مقتضى المقام ،وهذا يدل على صلابتها وقوة ثباتها وكبحها جماح نفسها بعد ما لاقته من لوعة الفقد.

المطلب الثالث : الدلالات البلاغية في خطبة السيدة زينب ع

أولاً: الدلالات المجازية (معنى المعنى):

أ_ الاستعارة :

جاءت الخطبة منطوية على الكثير من الاستعارات اعتمدها السيدة زينب لزيادة توضيح وبيان مقصودها بشيء من المبالغة والإيجاز نذكر منها :

*في قولها ع " وتتحلب أفواههم من لحومنا " شبهت يزيد ومن والاه بولد الشاة وهو يمتص الحليب من ضرعها وكأن يزيد امتص دماء آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت المشبه وحذفت المشبه به وتركت قرينة دالة عليه هي تتحلب على سبيل الاستعارة المكنية.

* وفي قولها " وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتنابها العواسل "

شبهت السيدة زينب الأعداء بالذئاب المفترسة حيث ذكرت المشبه به وهو العواسل (الذئاب) وحذفت المشبه وتركت قرينة دالة عليه وهي تتنابها على سبيل الاستعارة التصريحية.

*وقولها " وتعفرها أمهات الفراعل " شبهت من قتل الإمام الحسين ع بالضباع حيث ذكرت المشبه به وحذفت المشبه وتركت قرينة دالة عليه هي تعفرها على سبيل الاستعارة التصريحية.

ب_ الكناية :

استعملت السيدة زينب ع الكناية في خطبتها ومن أمثلتها نذكر :

*في قولها " تتطف أكفهم من دماننا " كناية عن كثرة قتلهم وتكليلهم بأجساد آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لتبتل الأيادي وتقطر بالدماء .

*وفي قولها " وهز السيوف " كناية عن بدء الحرب والأمر بالهجوم.

*وفي قولها " قد التمع السرور بوجهه " كناية عن شدة الفرح حيث يتدفق الدم إلى وجهه تقصد يزيد فيحمرّ وبهذا تظهر عليه علامات البشر والفرح بعد قتله للحسين رضي الله عنه

ج- التشبيه :

تجلى التشبيه في خطبة السيدة زينب من خلال قولها :

" ابن يعسوب الدين " واليعسوب هو ملكة النحل ، وتقصد هنا باليعسوب علي ع

" وشمس آل عبد المطلب " شبهت الإمام الحسين ع بالشمس بوجهه المشرق الوضاء وفخرها بآل عبد المطلب أشرف قبائل العرب.

د- السجع :

لم تخل الخطبة من السجع فقد استعملته السيدة زينب ع لتفاجئ ذهن السامع وتشده للسمع كما أنه يضفي جرساً موسيقياً تطرب له الأذان ومثال ذلك :

*في قولها " ليس من رجالهن وليّ ، ولا من حماتهن حمي "

" وكيف ترجي مراقبة من لفظ فوه أكباد الأركياء ، وبنيت لحمة من دماء الشهداء "

" فو الله ما فريت إلا جلدك ولا حزرت إلا لحمك "

لكن العيون عبري ، والصدور جرى "

" ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء "

" يجمع الله شملهم ، ويلم شعتهم ، ويأخذ بحقهم "

" فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك "

" فو الله لا تمحون ذكرنا ، ولا تميت وحيننا ، ولا تدرك أمرنا "

" وهل رأيك إلا فند ، وأيامك إلا عدد ، وجمعك إلا بيد "

د- الطباق :

وأظهرت السيدة زينب براعتها وجودة قريحتها اللغوية من خلال استعمالها للطباق في قولها :

" يتصفح وجوهن القريب والبعيد" طباق إيجاب بين قريب و بعيد

"وإنّي لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعتك" طباق إيجاب بين أستصغر و أستعظم.

"الحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة " طباق إيجاب بين أولنا و آخرنا .

هـ- الأسلوب الإنشائي :

جاءت الخطبة غنية بالأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية نذكر أمثلة منها :

*في قولها " كد كيدك وأسع سعيك وناصب جهدك" وقد جاءت أفعال الأمر هذه في صيغة تهديدك ووعيد لليزيد وهو أسلوب إنشائي طلبي يفيد الأمر .

*وفي قولها " اللهم خذ بحقنا وانتقم ممن ظلمنا وأحل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا "

أسلوب إنشائي غير طلبي يفيد الدعاء .

*وفي قولها " لا تطش جهلا " أسلوب إنشائي طلبي يفيد النهي جاء في صيغة استخفاف وتحقير .

*وقولها " لا تدرك أمرنا ، ولا تبلغ غابتنا ، ولا تمحو ذكرنا " أسلوب إنشائي طلبي يفيد الأمر .

*وقولها " وأنى ترتجي مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الشهداء ، ونبت لحمه بدماء السعداء " أنى هنا أفادت معنى كيف أسلوب إنشائي طلبي يفيد الاستفهام .

* قولها " يا ابن الطلقاء " أسلوب إنشائي طلبي يفيد النداء .

*وفي قولها " أظننت يا يزيد " أسلوب إنشائي طلبي يفيد النداء .

* وقولها " فو الله الذي شرفنا بالوحي ... " أسلوب إنشائي غير طلبي يفيد القسم .

وصفوة القول فمن خلال هذا المطلب تبين لنا أن بلاغة السيدة زينب ع هي قيس من مشكاة أبيها علي ع وإرث من جدها صلوات الله عليه وسلامه ، فكان أسلوبها متين جزل أرست قواعده على آيات بينات وأحكمت بيانه بسيل من جواهر البلاغة فأرهفت سيف البراعة وملأت مخاطم اليراعة في خطبتها التي عمرت دمنها وفرعت قننها وقنصت شواردها ونظمت قلائدها فأحسننت وأجادت وأبلغت وأبادت .

الخاتمة:

وبعد الانتهاء من رحلة البحث الشاقة التي تتبنا فيها خطاب السيدة زينب ع توصلت الدراسة الى جملة من النتائج؛ إذ عرضنا في هذا البحث لنموذج من الخطاب النسوي في باكورة الدولة الإسلامية وعلى لسان امرأة نجبية أصيلة الأهل، شريفة الدم والنسب فهي من بيت النبوة، وقد خاطبت حين ألقت خطبتها رأس الدولة الأموية في عصره وهو يزيد بن معاوية وفيما يلي أهم النتائج

أهم النتائج:

١-ظهرت خطب النساء في الجاهلية لكن ليس بالشكل البنائي المتعارف عليه في عصر صدر الإسلام؛ إذ تطورت الخطابة فيها على يد رسول الله محمد ﷺ وأيام البلاغة علي بن أبي طالب ع والسيدة الزهراء ع والسيدة زينب ع نتاج هذا البيت في البلاغة والحكمة.

٢-وظفت السيدة زينب ع في خطابها النص القرآني والنص النبوي الشريف تكتيفا وجمالا وغازة في الدلالة والمعنى.

٣-لم تخرج السيدة زينب ع عن بنائية الخطابة من حيث مستويات الاستهلال والموضوع والخاتمة، أضف إلى ذلك الانتقال من حال إلى آخر ومن مقام إلى مقام آخر، وفيه مراعاة لحال المخاطب.

٤-رصدنا في خطبة السيدة زينب ع عنها دلالات اللوم والعتب والتقريع فضلاً عن الارشاد والتوجيه، أي أنها قوية الدلالات والمعاني من ناحية تأثيرها بالمخاطبين وإن كان أحدهم عدواً لا يأبه لأي شيء.

٥-أوضحت الخطبة مستوى المخاطب الذي أتبع أساليب المقاطعة لخلخلة إصغاء السامع موظفاً شعراً يستغنى بأجداده وأسلافه في يوم بدر، وأنه عدل الميل الذي كان في أيامهم يقتله الحسين .

المصادر والمراجع

١. ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الناشر: دار التراث بيروت، ط/ ٢، سنة: ١٣٨٧هـ.
٢. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ١، سنة: ١٩٨٧م.
٣. أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ابن الملقن (ت: ٨٠٤ هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، ط/ ١، سنة: ٢٠٠٨م.
٤. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، العين، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (دون: ط، ت).
٥. أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، المحقق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة دمشق بيروت، ط/ ٢، سنة: ١٣٩٧هـ.
٦. أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور أبو الفضل (ت ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، تصحيح وشرح: أحمد الألفي، الناشر: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، سنة: ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.
٧. أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني أبو الفضل (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، سنة: ١٤١٥هـ.
٨. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٩٧٩م.
٩. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، (دون: ط، ت).
١٠. أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
١١. خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ١٥، سنة: ٢٠٠٢م.
١٢. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرنؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ٣، سنة: ١٩٨٥م.
١٣. محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي أبو سهل (ت ٤٣٣هـ)، إسفار الفصيح، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/ ١، سنة: ١٤٢٠هـ.

١٤- علي بن أبي الكرم بن محمد عبد الكريم، أسد الغابة في معروف الصحابة، تح: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١٩٩٤م.

Sources and references:

- 1- Ibn Jarir al-Tabari, History of the Messengers and Kings, Publisher: Dar Al-Turath Beirut, i/2, year: 1387 AH.
- 2- Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan ibn Duraid al-Azdi (d. 321 AH), the language crowd, Investigator: Ramzi Mounir Baalbaki, publisher: Dar al-Ilm for Millions, Beirut, i/1, year: 1987 AD.
- 3- Abu Hafs Omar bin Ali bin Ahmed Al-Ansari Al-Shafi'i bin Al-Mulqen (T.: 804 AH), the explanation of the explanation of the correct mosque, presented by: Ahmed Mabad - Abdul Karim, publisher: Dar Al-Nawader, Damascus, Syria, i/1, year: 2008 AD.
- 4- Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim al-Farahidi al-Basri (died 170 AH), Al-Ain, investigator: Dr. Mahdi Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, publisher: Al-Hilal House and Library, (Don: I, T).
- 5- Abu Amr Khalifa bin Khayat bin Khalifa Al Shaibani Al Asfari Al Basri (d. 240 AH), The History of Khalifa bin Khayat, Investigator: Dr. Akram Dia Al-Omari, publisher: Dar Al-Qalam, Al-Resala Foundation, Damascus, Beirut, I/2, year: 1397 AH.
- 6- Ahmed bin Abi Taher bin Tayfur Abu Al-Fadl (d. 280 AH), Women's Reports, Correction and Explanation: Ahmed Al-Alfi, Publisher: Abbas I Mother School Press, Cairo, year: 1326 AH / 1908 AD.
- 7- Ahmed bin Ali bin Muhammad bin Hajar Al-Asqalani Abu Al-Fadl (d. 852 AH), the injury in distinguishing the companions, investigation: Adel Ahmed Abdel-Mawgod, and Ali Muhammad Moawad, Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, i/1, year: 1415 AH.
- 8- Ahmed Bin Faris Bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (d. 395 AH), Dictionary of Language Standards, Investigator: Abd al-Salam Muhammad Harun, Publisher: Dar al-Fikr, year of publication: 1979 AD.
- 9- Ahmed Zaki Safwat, The Crowd of Arab Speech in the Glorious Arab Ages, Publisher: The Scientific Library, Beirut, (Don: I, T).
- 10- Ayoub bin Musa al-Hussaini al-Quraimi al-Kafwi, Abu al-Baqa al-Hanafi (d. 1094 AH), colleges, a glossary of terms and linguistic differences, investigator:
- 11- Adnan Darwish, and Muhammad al-Masri, publisher: Al-Resala Foundation, Beirut.
- 12- Khair al-Din bin Mahmoud bin Muhammad al-Zarkali al-Dimashqi (d. 1396 AH), Al-Alam, publisher: Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, I / 15, year: 2002 AD.
- 13- Muhammad bin Ahmed bin Othman Al-Dhahabi (d. 748 AH), the life of the nobles, investigation: a group of investigators, under the supervision of: Shuaib Al-Arnaout, presented by: Bashar Awad Maarouf, Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, I/3, Year: 1985 AD.
- 14- Muhammad ibn Ali ibn Muhammad al-Harawi al-Nahwi Abu Sahel (d. 433 AH), Isfar al-Fasih, publisher: Deanship of Scientific Research at the Islamic University, Madinah, i/1, year: 1420 AH.
- 15- Ali bin Abi Al-Karam bin Muhammad Abdul Karim, The Lion of the Forest in Ma'ruf Al-Sahaba, ed.: Ali Muhammad Moawad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, I 1, 1994 AD